

44 من قوله: (كُنْتُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ..)

ثم قال تعالى مخبرا عباده المؤمنين ومبشرا لهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين، فقال تعالى: **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَدْدَى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوْكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ [آل عمران: 111]** هكذا وقع، فإنهم يوم خير أذلهم الله وأرغم أنوفهم، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بنبي قينقاع وبني النضير وبني قريطة كلهم أذلهم الله، وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن، وسلبوهم ملك الشام أبد الآدبين ودهر الدهارين، ولا تزال عصابة الإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى ابن مريم وهم كذلك، ويحكم بملة الإسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام.الشيخ: وهذا الذي قاله المؤلف في الشام يحمل على أن هناك لا تزال فيه طائفة طيبة مستقيمة، وإلا فالولاية الآن ليست لهؤلاء، والمؤلف وجماعة آخرون تؤلوا قوله في الحديث الصحيح: إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده يعني أنه متى هلك في ولاية الشام فلا يكون بعده قيصر، تكون الولاية لل المسلمين والمعنى: ليس الأمر كذلك لا تكون لهم قيصرية هناك، ولكن لا يمنع من أن يتولاها كفرا آخر، وهذا في العراق لا يمنع أن يتولاها كفرا آخر غير الكياسرة، وإنما نفي النبي ﷺ لا كسرى بعده ولا قيصر بعده ولم يقل: لا كافر بعده الواقع شاهد بهذا، فقد تو لاها جمع من الكفرا، تو لاها ... مدة من الزمن، والعراق ... مدة من الزمن، وفيها الآن البعثيون، وهذا في الشام فيها الآن النصيرية ولهم الولاية وهم من الباطنية المعروفين.

فالمقصود أن الشام لا زال فيه طائفة من غير الولاية يعني الشعب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويرجى أن تبقى هذه الطائفة حتى ينزل عيسى ابن مريم، وليس معنى في هذا وثيقة أنه لا يزول منها أولئك، ولكن يرجى ذلك لظهور الأحاديث الكثيرة التي في شأن الشام وفضلها، ولكن الولاية لا يلزم أن تكون ولاية إسلام قد تكون ليست ولاية إسلام ولكن الشعب فيهم مسلمون وفيهم أخيار. ثم قال تعالى: **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلْلَةُ أَئِنَّ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَبَحْلٍ مِّنَ النَّاسِ أَيُّ الْزَمْهُمُ اللَّهُ الذَّلَّةُ** والصغراء أينما كانوا فلا يؤمنون إلا بحبل من الله أي بذمة من الله، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم والإزامهم أحکام الملة وحبل من الناس أي أمان منهم لهم، كما في المهدان والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين، ولو امرأة، وكذا عبد، على أحد قوله العلماء، قال ابن عباس: **إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَبَحْلٍ مِّنَ النَّاسِ أَيُّ بَعْهُدٍ مِّنَ اللَّهِ وَعَهْدٍ مِّنَ النَّاسِ**، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي والربيع بن أنس.

وقوله: **وَبَأْءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ أَيُّ الْزَمْهُمَا فَالْتَّزَمُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَهُمْ يَسْتَحْقُونَهُ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ أَيُّ الْزَمْهُمَا قَدْرًا وَشَرْعًا.**

الشيخ: يعني ولو ملكوا الدنيا فقلوبهم فقيرة ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس، فاليهود ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ولزمهم هذا الغضب- نعوذ بالله - لخبيتهم وضلالهم وإعراضهم عن الحق على عدم واستكبارهم عن الاتباع على عدم؛ فصاروا بهذا مغضوب عليهم، نعوذ بالله، والذلة لازمة لهم والمسكنة مهما بلغت قوتهم ومهما بلغت أموالهم، فالذلة لازمة لهم والغضب لازم لهم والمسكنة كذلك، وهي فقر القلوب، فقلوبهم فقيرة وحريرة على الدنيا لا تشبّع ولو ملكوا ما ملكوا من الدنيا، ولهذا في الحديث الصحيح: ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس فالغني ليس غني المال ولكنه غنى القلب غنى النفس بما رزقه الله وأعطاه.

ولهذا قال تعالى: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ أَيْ وَإِنَّمَا حَمْلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْكِبْرِ وَالْبَغْيِ وَالْحَسْدِ فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ وَالْمَسْكَنَةُ أَبْدًا مَتَّصِلًا بِذَلِكَ الْآخِرَةِ**، ثم قال تعالى: **ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَذِرُونَ أَيْ إِنَّمَا حَمْلُهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ وَقِيسْرِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْثُرُونَ الْعَصْيَانَ لِأَوْامِرِ اللَّهِ وَالْغَشْيَانَ لِمَعْاصِي اللَّهِ وَالْاعْتِدَاءَ فِي شَرْعِ اللَّهِ فَعَيْنَا إِذَا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ** المستعان.الشيخ: يعني أصيبوا بهذا البلاء بسبب كثرة عصيانهم واختلافهم على أنبيائهم واعتدائهم على الحق واستكبارهم عن اتباعه فلهذا أصابهم ما أصابهم من الذل والهوان والغضب الملائم والبعد عن الحق نعوذ بالله ونسأله العافية. المعلق: بسم الله الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فوّقعت الحلقة التالية بتاريخ الثاني من شهر جمادى الآخرة لعام 1404 من هجرة المصطفى ﷺ الموافق الأحد وحدث سقط يسير في بداية هذه الحلقة حيث كنت قد تأخرت قليلاً فبدأ التسجيل بعد فوات شيء يسير وهو ما وقع في صفحة 397 بعد الحلقة السابقة مباشرة نقرأه إتماماً للفائدة: بسم الله الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي عمر الأزدي، عن عبدالله بن مسعود ؓ، قال: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثة نبي، يقوم سوق بفالم آخر النهار.

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُوْنَ آيَاتِ اللَّهِ آتَاءَ اللَّيْلَ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ○ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَرَيْهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ○ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ○ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ○ مَتَّلِّ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكُتُهُ وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

قال ابن أبي نجح: رفع الحسن بن أبي يزيد العجمي، عن ابن مسعود ـ في قوله تعالى: **لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ** قال: لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ، وهكذا قال السدي. ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى، قالا: حدثنا شبيان عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود ـ قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم قال: فنزلت هذه الآيات **لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ - إِلَى قَوْلِهِ وَاللهُ عَلِيهِ بِالْمُتَّقِينَ**.

والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أخبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم.الشيخ: ... وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوات وتهجدوا بالليل وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وسارعوا في الخيرات فهذا فيهم، ولهذا يأتي موسى يوم القيمة ومعه أمة كبيرة قد سدت الأفق بسبب اتباعهم له، فبني إسرائيل فيهم الضال والمغضوب عليه، وفيهم من هداه الله ودخل في الحق ولكن أكثرهم فاسقون.

رواهم العوفي عن ابن عباس- أن هذه الآية نزلت فيمن آمن من أخبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة وغيرهم؛ أي لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب، وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: **لَيْسُوا سَوَاءً أَيْ لَيْسُوا كُلُّهُمْ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ**، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ** أي قائمة بأمر الله مطيبة لشرعه، متبعة نبي الله، فهي قائمة، يعني مستقيمة يتلئون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون أي يقومون الليل ويكترون التهجد، ويتلئون القرآن في صلواتهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن **الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ** وأولئك من الصالحين وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة: **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْهِمْ حَاشِيَعَنَّ اللَّهِ** [آل عمران: 199]، ولهذا قال تعالى هنا **وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ** **فَلَنْ يُكَفِّرُوهُ** أي لا يضيع عند الله، بل يجزيهم به أوفر الجزاء **وَاللهُ عَلِيهِ بِالْمُتَّقِينَ** أي لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا.الشيخ: والمقصود من هذا الحث على التأسي بهم وأنهم جمعوا بين الخيرين آمنوا بالماضيين ثم آمنوا بمحمد ﷺ، واستقاموا وسارعوا إلى الخيرات وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فينبغي أن يقتدى بهؤلاء وألا يغنم حق المحسن من أجل إساءة قومه وجماعته ونحو ذلك، فكل يؤخذ بذنبه وكل يعطى حقه، فإذا أساء جماعته وكثير فيهم الفسق فإن الله لا يجري عمل منهم لمن أصلح عمله، وهكذا إذا ساءت أعمال الأمم أو القبائل أو أهل البلد أو القرية أو نحو ذلك، فإن الله لا يضيع عمل من أحسن منهم واتقى الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وسارع في الخيرات وإن كثر المخالفون نعم هذا فضلهم وإحسانه وعدله جل وعلا.

ثم قال تعالى مخبرا عن الكفارة المشركين بأنه لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أي لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراده بهم وأولئك أصحاب النار هُمْ فيها خالدون. ثم ضرب مثلا لما ينفقه الكفار في هذه الدار، قاله مجاهد والحسن والسدي، فقال تعالى: بمثل ما يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلٍ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أي برد شديد، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم.

الشيخ: هذه حالهم نعوذ بالله، هذه حالهم في كفرهم نفقاتهم تذهب هكذا تذهب سدى وتضيع عليهم لأنها في غير الحق كمثل الريح الشديدة التي فيها البرد الشديد والقوة العظيمة إذا أصابت الحرج والزروع أهلكته.. فهكذا أعمال الكافرين منها كثرة تكون هباءً منثوراً وتضيع عليهم نعوذ بالله كما قال : [وَقَدْمَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا] الفرقان: 23 [وَلُو أَشْرَكُوا لَحْبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] الأنعام: 88] فالأعمال وإن كثرة إذا كانت ليست على أساس صالح، بل على الشرك أو على الشرك والبدع صارت هباءً منثوراً نعوذ بالله. وإنما يبقى وينفع صاحبه ما كان لله من الأعمال الصالحة وما كان موافقاً للشريعة وليس بدعة، فهذا هو الذي ينفع الناس وينفع أهل العمل الصالح هو الموافق لشرع الله المخلص لله، أنفق الله في سبيل الله في طاعة الله، صلى الله على ما شرع الله، هكذا أعماله الأخرى فعلها الله على الوجه الذي شرعه الله فهذا هو الذي ينفع أهله يوم القيمة ولا يضيع عليهم، بل يدخل لهم ويربي ويصافع وينمى لأهله بسبب ما فيه من الإخلاص والصدق وتحري السنة والحذر من البدعة، أما الكفارة فأعمالهم حابطة باطلة ذاهبة كمثل الحرج يصيبها ريح فيها صر، وهذا العمل المتبوع يكون باطلًا ذاهباً ضائعاً "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

وقال عطاء: برد وجليد، وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد: [فِيهَا صِرٌّ أي نار وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار]. أصابات حرج قوم ظلموا أنفسهم فأهلكتهم أي فأحرقتهم، يعني بذلك السعفة إذا نزلت على حرج قد آن جذاذه أو حصاده، فدمنته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع، فذهبت به وأفسدته، فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه. وكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها، كما أذهب ثمرة هذا الحرج بذنب صاحبه. وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس وما ظلمهم الله ولكلّ أنفسهم يظلمون. الشيخ: هذا يوجب للمؤمن دائمًا أن يحرص على إخلاص الأعمال لله وعلى اتباع السنة في كل شيء. وليرخص غاية الحرص على كل أعماله وأن تكون نقية سليمة أراد بها وجه الله وتحري فيها السنة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يريد بها رياء ولا سمعة ولا محمدة الناس ولا طلب الدنيا ولا يتبع..... مما شرعه الله. يا أيها الذين آمنوا لا تتدخروا بطنائكم من دونكم لا يألو نئكم خيالاً وذروا ما عنيتم قد بدأتم البعضاء من أفواههم وما ثخفي صدورهم أكبر قد بيئنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ○ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَلَا تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا

لَقُوْكُمْ قَالُوا امَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوْا عَلَيْكُمُ الْأَنَامُلَ مِنَ الْعَيْظِ قُلْ مُوْتُوا بِعَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ □ إِنْ تَمْسَكُمْ حَسَنَةً شَرُّهُمْ وَإِنْ تُصِبُّمْ سَيِّئَةً يَفْرُحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِرُّوْا وَتَنْتَهُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يطعونهم على سائرهم وما يضرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم، لا يألون المؤمنين خبالاً، أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخداع، ويودون ما يعنى المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم، قوله تعالى : لَا تَتَخَذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ أَيُّ مِّنْ غَيْرِكُمْ مِّنْ أَهْلِ الْأَدِيَنَ، وبطانة الرجل هم خاصة أهل الذين يطعون على داخلة أمره .
الشيخ: والأية عامة لأهل النفاق وغيرهم، هي عامة لجميع أهل الأديان، المعنى لا تخذوا قوماً على غير دينكم بطانة لكم تسرون إليهم بما لديكم من الأمور وتطلعونهم على خفايا الأشياء؛ لأن العدو لا يؤمن، ولأن من طبيعته أنه يود الشر لعدوه، ويألا عدوه خبالاً يعني تدميراً وإخلالاً بالأمور ونقضاً عليهم وتسبيباً لما فيه هلاكه وضرره، ولهذا قال جل وعلا : لَا تَتَخَذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ [آل عمران: 118] أي من غيركم من الكفرة سواء كانوا منافقين وهم شر الكفار أو كانوا يهود أو نصارى أو مجوس أو غير ذلك، فجميع الكفرة هم أعداء، ولا ينبغي أن يتخذوا بطانة كالوزير وغير ذلك من يطلع على هذه الأمور، أما إن احتاجوا عملاً بعيدين عن البطانة عند الحاجة فهذا شيء آخر كما فعل النبي ﷺ مع اليهود في خير عند الحاجة ثم أمر بإجلائهم.

فالملخص أن العدو البعيد الذي هو في أعمال واضحة ليس من البطانة أمره أسهل وإن كان ينبغي بإعاده بالكلية لكن البطانة تكون أشد ويكون أمرها أخطر

وقد روى البخاري والنسائي وغيرهما، من حديث جماعة منهم يونس ويعقوب بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبي عتيق عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله وقد رواه الأوزاعي وعاوية بن سلام عن الزهري .
الشيخ: هذه قاعدة: الرواية كلهم بالتشديد ما عدا الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بالتفهيف وما عدا محمد بن سلام شيخ البخاري البيكندي فهو بالتفهيف على الراجح أيضاً وما سواهم فهم بالتشديد.

عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، فيحتمل أنه عند الزهري عن أبي سلمة عنهم وأخرجه النسائي عن الزهري أيضاً، وعلقه البخاري في صحيحه فقال: وقال عبد الله بن أبي جعفر عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة عن أبي أيوب الأنباري مرفوعاً ذكره فيحتمل أنه عند أبي سلمة عن ثلاثة من الصحابة، والله أعلم .
الشيخ: وهذا يفيد الحذر إذا كان حتى الأنبياء كيف بغيرهم "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحثه عليه"

وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه، والمعصوم من عصمه الله" فهذا يوجب على الأمراء ورؤساء الناس وشيوخ القبائل وكل من له حل وعقد أن يحذر البطانة السيئة وأن يفتش عنمن لديه حتى لا يتلئ بهذه البطانة التي تأمره بالشر وتحثه عليه وتثبته عن الخير وتكتسل عنه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان، حدثنا عيسى بن يونس عن أبي حيان التيمي، عن أبي الزنباع، عن ابن أبي الدهقانة، قال: قيل لعمر بن الخطاب :إن هاهنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتباً، فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين. ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمرهم التي يخشى أن يفشواها إلى الأعداء من أهل الحرب، ولهذا قال تعالى: **لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنِتُّمْ**

وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن إسرائيل، حدثنا هشيم، حدثنا العوام عن الأزهر بن راشد، قال: كانوا يأتون أنسا فإذا حدثهم بحديث لا يدركون ما هو، أتوا الحسن يعني البصري، فيفسره لهم، قال: فحدث ذات يوم عن النبي ﷺ أنه قال لا تستضيفوا بنار المشركين، ولا تنفسوا في خواتيمكم عربياً فلم يدرروا ما هو، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنسا حدثنا أن رسول الله ﷺ قال لا تستضيفوا بنار المشركين، ولا تنفسوا في خواتيمكم عربياً فقال الحسن: أما قوله لا تنفسوا في خواتيمكم عربياً: محمد ﷺ، وأما قوله: لا تستضيفوا بنار المشركين يقول: لا تستشيروا المشركين في أموركم. ثم قال الحسن: تصدق ذلك في كتاب الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمة الله تعالى الشیخ: وهذا فيه نظر، تفسير الحسن هذا فيه تأمل لأن الاستضافة بنارهم ليس بواضح بما فسره به، والأقرب والله أعلم أنه أراد بذلك البعد عنهم وعن مجاورتهم وعن مساكنهم وألا يكون مقيماً بين أظهرهم ولا مجاوراً لهم يستضيفه بنارهم، أما اتخاذهم كتاباً فهذا أشد وأشد، وأما نقشاً عربياً نقش محمد رسول الله فهذا ليس بواضح؛ لأن هذا ليس من البيان الواضح.

وقد رواه النسائي عن مجاهد بن موسى، عن هشيم، ورواه الإمام أحمد عن هشيم بإسناده مثله من غير ذكر تفسير الحسن البصري.

وهذا التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر لا تنفسوا في خواتيمكم عربياً أي بخط عربي، لئلا يشابه نقش خاتم النبي ﷺ، فإنه كان نقشه «محمد رسول الله»، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أنه نهى أن ينقش أحد على نقشه. وأما الاستضافة بنار المشركين، فمعناه لا تقاربواهم في المنازل بحيث تكون معهم في بلادهم، بل تبعدوا منهم، وهاجروا من بلادهم الشیخ: وهذا هو الأقرب، أما عربياً فهو محتمل أن المراد لا تنفسوا محمد رسول الله، ولكن أيضاً فيه زيادة نظر إن صح الأثر عن أنس

فإن ظاهره ألا ينفي شيئاً بالعربي في الخواتيم هذا ليس بصريح ... بل كان المسلمون ينقشون في خواتيمهم أسماءهم، والأسماء فيها العربي وفيها غير العربي، فيها عبدالله وفيها محمد وفيها عبد الرحمن وفيها إسحاق وفيها إبراهيم فاللفظ هذا فيه نظر ويحتاج إلى مراجعته. وأما لا تستضيفوا بنارهم مثل ما تقدم مثل ما ذكر المؤلف وأما اتخاذهم أهل شوري وبطانة هذا منهي عنه بنص الآية.

الطالب:...؟

الشيخ: وبهذا يعلم أن الحديث ضعيف لأنه من رواية الأزهري بن راشد هذا مجاهول فلا يلتفت إليه، والمتن غريب، المتن غريب والراوي مجاهول.

ولهذا روى أبو داود لا تتراءى ناراً هما.

الشيخ: هذا من حديث جرير بن عبد الله البجلي أن النبي ﷺ قال: أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تتراءى ناراً هما هذا رواه أهل السنن أبو داود والترمذى والنمسائى من حديث جابر، والمعنى النهى عن تقاربهم وتصاحبهم في المنازل، لا ليبر الكافر المسلم، المعنى البعد عنهم ومجانبة الاختلاط بهم خشية من شرهم وفسادهم نعم.

س:....؟

الشيخ: إيه، الله المستعان؛ ولهذا ظهرت آثار الشر في المسلمين لما سافروا إليهم وجالسوهم وخلطوا بهم في كل مكان. نسأل الله العافية.

وفي الحديث الآخر من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله، والاستشهاد عليه بالأية فيه نظر، والله أعلم.الشيخ: هذا الحديث :من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله هذا رواه أبو داود، لكن في إسناده ضعف لكن له شواهد مثل ما تقدم قوله: أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين لا تتراءى ناراً هما وحديث جابر الذي رواه النمسائى بإسناد جيد قوله ﷺ: لا يقبل الله من مسلم عملاً بعدهما أسلم أو... إلى المشركين أو... يعني حتى أو بمعنى إلى وهذه الأحاديث كلها تدل على وجوب مفارقتهم وعدم السكينة معهم؛ لأن السكينة معهم والمخالطة لهم وسيلة إلى الرضا بذينهم أو الرضا بما هم فيه من المعاصي الأخرى، أو التساهل بأمر الدين فأقل أحواله أنه يتواهله بأمر الدين ويحضر منكراتهم وأعيادهم وغير ذلك. ثم قال تعالى: **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** أي قد لاح على صفات وجوههم، وفلتان ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مستملون عليه في صدورهم من البغض للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل، ولهذا قال تعالى: **قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقُلُونَ**.الشيخ: ومن هذا الباب قوله تعالى: **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَأُءُ**

إِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدًا حَتَّىٰ ثُوِّمْنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ [المتنـة: 4]

وقوله تعالى : هَا أَنْتُمْ أُولَئِنَّا ثُجْبُونَّهُمْ وَلَا يُحْبِبُونَكُمْ أي أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرون لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك، وهم لا يحبونكم لا باطننا ولا ظاهرا، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ أي ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب، وهم عندهم الشك والريب والحيرة. وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ أي بكتابكم وكتابهم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، رواه ابن جرير.

وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلُوا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَاملَ مِنَ الْغَيْظِ وَالْأَنَاملَ أَطْرَافَ الأَصَابِعِ ، قاله قنادة.

وقال الشاعر:

....وما حملت كفاي أنمي العشرا

وقال ابن مسعود والستي والربيع بن أنس: الأنامل الأصابع، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة، وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه، كما قال تعالى: وَإِذَا خَلُوا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَاملَ مِنَ الْغَيْظِ وذلك أشد الغيظ والحنق.

قال الله تعالى: قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيهِ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَيْ مِمَّا كُنْتُمْ تَحْسَدُونَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُينَ وَيَغْيِظُكُمْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مِنْ نَعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَكْمُلُ دِينِهِ، وَمَعْلُوْ كَلْمَتَهِ وَمَظْهَرُ دِينِهِ، فَمَوْتُكُمْ بِغَيْظِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيهِ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَيْ هُوَ عَلِيمٌ بِمَا تَنْطَوِيُّ عَلَيْهِ ضَمَائِرَكُمْ وَتَكْنَهُ سَرَائِرَكُمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْحَسْدِ وَالْغُلِّ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مَجَازِيْكُمْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّ يَرِيْكُمْ خَلَافَ مَا تَوَمَّلُونَ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي النَّارِ الَّتِي أَنْتُمْ خَالِدُونَ فِيهَا لَا مُحِيدٌ لَكُمْ عَنْهَا، وَلَا خَرُوجٌ لَكُمْ مِنْهَا.

ثم قال تعالى: إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ شَرُّهُمْ وَإِنْ تُصِبُّكُمْ سَيِّةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَهَذِهِ الْحَالُ دَالَةُ شَدَّةِ الْعَدَاوَةِ مِنْهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ أَنَّ إِذَا أَصَابَ الْمُؤْمِنِينَ خَصْبٌ وَنَصْرٌ وَتَأْيِيدٌ وَكَثْرَةُ وَعْزٍ لِأَنْصَارِهِمْ، سَاءَ ذَلِكَ الْمُنَافِقِينَ، وَإِنَّ أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ سَنةً أَيْ جَدْبٌ أَوْ أَدِيلٌ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ لِمَا اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَكْمَةِ - كَمَا جَرِيَ يَوْمَ أَحَدٍ - فَرَحَ الْمُنَافِقُونَ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ تَصْرِّفُوا وَتَنْتَقِّلُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا الْآيَةُ، يَرْشِدُهُمْ تَعَالَى إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدِ الْفَجَارِ بِاسْتِعْمَالِ الصَّبَرِ وَالتَّقْوَى وَالتَّوْكِلِ عَلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ مُحيِطٌ بِأَعْدَائِهِمْ، فَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ لَهُمْ إِلَّا بِهِ.

وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه.الشيخ: وهذه من نعم الله العظيمة أن أهل الإيمان إذا صبروا واتقوا لا يضرهم كيد الكفار.....بل سوف ينصرون عليهم وإنْ تَصْرُّرُوا وَتَنْتَقُوا لَا يَضْرُرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ [آل عمران:120] فمتى صبر أولياء الله واتقوا ربهم وجاهدوا في سبيله ونصروا دينه وتكلّفوا وتعاونوا على البر والتقوى؛ أيدهم الله وكفاهم شر أعدائهم وكفاهم مكائد them، ولكن المصيبة تأتي من جهة تقصيرهم في أمر الله وارتكابهم بعض المحارم أو تفرقهم واختلافهم، كما جرى يوم أحد حتى جرى ما جرى من الإدالة.









